الخلع في الشعر العربي قبل الإسلام

(دراسة تحليلية)

د. شروق عبد المجيد سلمان

وزارة التربية/ مديرية تربية الرصافة الأولى

The Alienation in Pre-Islam Arabic Verse:

(Analytical Study)

Dr. Shorooq A. Salman

الملخص

يُعد الخلع أشد عقوبة تعرض لها كل من ارتكب جرماً بحق الآخرين، إذ أوجدت القبائل لها قوانين وأعرافاً حكمت من خلالها أبناءها، وكان لابد من الإعلان عن تلك العقوبة (الخلع) ليتبرأ الأهل والقبيلة مما يترتب عليهم من تبعات مالية أو قانونية، فلا يُؤاخَذون ولا يؤاخِذون.

ونتيجة للخلع يعاني الخليع من ضغط نفسي يجعله يسبح في صراعات ذاتية صعبة بسبب تخلي أهله وقومه عنه وإبعادهم إياه خارج حماهم مما يضطره للجوء إلى قبائل أخرى فيتحالف معهم أو ينزل في جوارهم. وقد يجد من يُغيثه ويحميه، وقد لا يجد فيتعرض لمضايقات وإهانات عدة فلا يهنأ له عيش ولا تقر له عين ويظل يستذكر أهله وما فعلوه به فيحنق عليهم، ويزداد ألم الخلع ليكون خلعا نفسيا فضلاً عن الخلع المكاني فتزداد تبعا لذلك الفجوة بينه وبين قومه الأمر الذي يجعل بعض الخلعاء يُغير على أهله مع مجموعة من المخلوعين انتقاماً لذاته المنكسرة. وقد يهجوهم بما يختلج في صدره من ألم ومرارة.

وقد قام البحث على مقدمة ومبحثين جاء في المقدمة تعريف الخلعاء وممن، تكونوا والأسباب التي ساعدت على تشكيل تلك الطائفة، وتناول المبحث الأول التعريف اللغوي والاصطلاحي للخلع والخليع وبيان أماكن إعلان الخلع، وأنواعه والأثر النفسي الذي يسببه في نفوس الخلعاء. أما المبحث الثاني فقد تناول السبل التي واجه بها الخلعاء خلعهم وأهمها الحلف والجوار كذلك تناول المبحث ما لاقاه هؤلاء من تقدير ومحبة أو إذلال ومهانة في جوار من لجأوا إليهم.

ISSN: 2789- 1771
العدد (صفر). نيسان ٢٠٢١/ رمضان ١٤٤٢

Abstract

Dislocation is the most severe penalty for anyone who commits an offense against others. Tribes have established laws and customs that ruled their sons. This punishment must have been announced to dissuade the family and the tribe from financial or legal consequences. And they shall not be taken، nor shall they be taken away.

As a result of the dislocation، the rake suffers from psychological pressure، which makes him swim in difficult self–sufficiency because of his family's abandonment and isolation، and the expulsion of him from outside their protections، forcing him to resort to other tribes to join them or descend in their neighborhood. And may find the one who is jealous and protects him and may not find himself exposed to harassment and insults several does not rejoice for him to live and do not recognize his eye and still remember his family and what they did by hating them، and increase pain Khol to be psychologically dislocation in addition to spatial dislocation increased accordingly gap between him and his people، He changes his family with a group of recruits in retaliation for his broken self. They may be seduced by the pain and bitterness of his chest.

The first topic dealt with the linguistic and legal definition of the dislocation and the polytheism and the statement of the places of declaration of khul 'and its types and the psychological effect it causes in the hearts of the caliphs. The second topic dealt with the ways in which the Chaldeans faced their disintegration، most importantly the humiliation of those who sought refuge in them.

المقدمة

تمثل القبيلة المجتمع المصغر الذي يضم ابناؤه بين جنباته، وهم عماده وقوامه ويسمى هؤلاء (بالصرحاء)، كما يضم العبيد والموالي وفيهم يدخل الخلعاء. ويشكل هؤلاء (الخلعاء) ثلاث مجموعات، مثّلت المجموعة الأولى (الخلعاء والشُذّاذ الذين تبرأت منهم قبائلهم لسوء أفعالهم، ومنهم قَيس بن الحدادية، وحاجز بن سلامان، وأَبي الطَمَحَان القيني، وضمّت المجموعة الثانية أبناء الحبشيات السود (أَغربة العرب) الذين نبذهم آباؤهم ولم يلحقوهم بهم لعار ولادتهم ومنهم السُلَيك بن السُلكة، وتأبط شراً والشنفرى، وعنترة بن شداد، اما المجموعة الثالثة فقد اتخذت الصعلكة حِرفة لها، وقد تكون أفراداً كعروة بن الورد، أو قبيلة كقبيلتي فَهْم وهُذَيل.

ومن تلك المجموعات الثلاث تكونت طائفة الصعاليك، وهي عصابات قطعت ما بينها وبين قبائلها من صلات، انطلقت إلى الصحراء[1] وقد وضعت القبائل التي يقوم عليها المجتمع الجاهلي قوانين لها ألزمت أبناءها ومواليها وكل مَن ينتمي إليها بالتقيد بها، وعدم الخروج عليها متخذة توفير الحماية لهم والدفاع عنهم بديلاً عن ذلك[2]. ونتيجة لذلك كان بعض أفرادها يشعر بضغط نفسي عليه فيحاول جاهدا إيجاد متنفس في الانقلاب والانفلات من ذلك القيد القبلي من خلال منحه ذاته حرية في إيتاء كل ما يُعد خارجا عن قوانين وأعراف القبيلة ويُسيء لها فتضطر عندها قبيلته إلى عقوبته بخلعه وإعلان البراءة منه[3]. وكانت هذه العقوبة أشد أنواع العقوبات[4]، وكان يُعلن عن تلك العقوبة (الخلع) أمام الملأ. ويُعدُ الحج والأسواق كسوق عكاظ مكاناً مناسباً لذلك الإعلان، لما يحضره من أناس كثر، فتعلن القبيلة تبرأها من الخليع.

وكان أهل مكة يُكلفون منادياً يطوف الأحياء، ينادي بأعلى صوته عن خلع الخليع، وقد يُكتب ذلك في كتاب يحفظونه بمكان عام ليطّلع عليه الناس، وقد يُخلع

(1) الشعراء الصعاليك، د. يوسف خليف: ٥٧ وينظر الادب العربي (العصر الجاهلي)، د. شوقي ضيف: ٣٧٥

(2) ينظر الشعر العربي قبل الاسلام بين الانتماء القبلي والحس القومي، د.مصعب الراوي: ١٢ وينظر ايام العرب وأثرها في الشعر الجاهلي، منذر الجبوري: ٦٢

(3) ينظر دراسات نقدية في الادب الجاهلي، د.محمود الجادر: ١٦٦

(4) ينظر الجاهلية / مقدمة في الحياة العربية لدراسة الادب الجاهلي، د.يحيى الجبوري: ٤٣

ISSN: 2789- 1771
العدد (صفر). نيسان ٢٠٢١ / رمضان ١٤٤٢

الفرد من أهله فيقول الأب: (ألا وأنّني قد خلعت ابني هذا، فإن جرَّ لم أضمن، أو جُرَّ عليه لم أطلب)[1]. أو يخلعه قومه، فيعلن سيد القبيلة ذلك بقوله: (إنما خلعنا فلانا، فلا نأخذ أحداً بجناية تُجنى عليه، ولا نؤخذ بجناياته التي يجنيها)[2]. فتسقط عن أهل الخليع وقومه كل تبعة فلا يتحملون ما يأتي به من فعل سيء، كما تسقط عن القبائل والأفراد الذين يتعرضون له كل تبعة.

وقد يخلع الفرد نفسه إذا ما أيقن كثرة جناياته، وأنه لا يدري بأيّها سيؤخذ، ويُعد الشنفرى أنموذجا واضحاً على ذلك الخلع إذ نراه قد بادر هو لخلع نفسه عن قبيلته لِما اقترفت يداه من جرائم، فأطلق على نفسه (طريد جنايات) قال:

طَريـــدَ جنايـــاتٍ تيـــاسَرن لحمـــه ... عقيرتـــــه لأيِهـــــا حُـــــمَّ أُولُ
تنـــامُ إذا مـــا نـــامَ يقـــضي عيونهـــا ... حِثاثـــاً إلى مكروهِـــهِ تَتَغلغـــلُ
وَإلـــفَ همـــومٍ لا تـــزالُ تَعْـــوُدُه ... عَيـــاد الحَمّـــيّ الربـــعُ أوهـــي أثقـــلُ[3]

ولا يفوت الباحث أن يذكر أن هناك من الأصوات العقلانية في القبيلة التي كانت تَعلو مُحذرةً من مغبةِ اقتراف جُرمٍ يقود للخلع، واصفة حال الخليع بعد تخلي أهله وقومه عنه وأبعادهم إياه بالذليل والمُهان الذي لا أهل له، ولا عشيرة تنصره. وقد عّبر (زُهَير بن أبي سُلمى) عن صورة الخليع المُبعد عن أهله، كونه وحيداً مضطراً لمصاحبة العدو:

وَمَـنْ يغـترِبِ يحسبْ عـدواً صـدِيقَه ... ومَـــنْ لا يُكـــرَمْ نفـــسَه لا يُكَـــرَّمِ
ومهـما تكـنْ عنـد امـرئٍ مـن خليقـةٍ ... وإنْ خالهـا تَخفـى عـلى النـاسِ تُعلـمِ
ومَـنْ لا يـزالُ يـستحمل النـاسَ نفسَه ... ولا يُغنِهـا يومـاً مـن الـدهرِ يُـسأَمِ[4]

(1) ينظر المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، د.جواد علي: ٤/ ٤١١
(2) الاغاني، لأبي الفرج الاصفهاني: ٨/ ٥٢
(3) لامية العرب للشنفرى، عبد العزيز ابراهيم: ٨١–٨٢
(4) شعر زهير بن أبي سلمى، د. فخر الدين قباوة: ٢٨–٢٩

ISSN: 2789- 1771
العدد (صفر). نيسان ٢٠٢١/ رمضان ١٤٤٢

وفي ذات المعنى رسم الأعشى صورة الذل الذي يتعرض لها الخليعُ المُبعد قائلاً :

متى يغترِبْ عن قومِهِ لا يجِدْ لَهُ ... على مَنْ لهُ رَهطٌ حَوالَيهِ مُغْضَبا
وَيُحْطَمِ بظلمٍ لا يزالُ يَرى لهُ ... مصارِعَ مظلُومٍ مَجَرَّاً ومَسْحَبَا[1]

تلك الأصواتُ كانت بمثابة تنبيه للأفراد، تحذرهم مغبة القيام بعمل سيءٍ يضطر على إثره أفراد القبيلة إلى خلعه، كما كانت تصوّر الحالة التي يؤول إليها حال الخليع دون عِزّ وعشيرة.

(1) ديوان الاعشى الكبير، شرح وتحقيق، د. محمد محمد حسين: ١١٣

ISSN: 2789- 1771
العدد (صفر). نيسان ٢٠٢١ / رمضان ١٤٤٢

ISSN: 2789- 1771
العدد (صفر). نيسان ٢٠٢١ / رمضان ١٤٤٢

«المبحث الأول»

مفهوم الخلع والخليع

الخلع لغة: من خلع الشيء يخلعه واختلعه كنزعه، والخلع من المجاز وهو رجل يجني الجنايات يؤخذ بها أولياؤه فيتبرأون منه ومن جناياته[1].

وكان الرجل في الجاهلية إذا قال قائلٌ منادياً في الموسم (يا أيها الناس (هذا ابني قد خلعته) وذلك اذا خاف منه خبثاً أو جناية، أو تقول عشيرته: إنّا خلعنا فلاناً، أي فإن جرَّ لم أضمن، وإن جُرّ عليه لم أطلب)، يريد تبرّأت منه وكان لا يؤخذ بعدُ بجريرته وهو خليع[2].

ومن أشهر المخلوعين: قَيس بن الحدادية الذي خلعته قبيلته خزاعة في سوق عكاظ لفتكه، فقد كان صعلوكاً شجاعاً، ارتكب جرائم كثيرة اضطرت على إثرها قبيلته إلى خلعه والتبرؤ منه قال قيس في ذلك:

أنـــا الـــذي تخلعُـــهُ مواليـــه ... وكُلُهـــمُ بَعـــدَ الـــصَفاءِ قالِيَـــه[*]
وكُلُهـــمُ يُقـــسِمُ لا يباليـــه ... أنـــا إذا المـــوتُ ينـــوبُ غالِيـــه
مُحـــتلِطٌ أســـفلُهُ بعالِيـــه ... قَـــدْ يعلـــمُ الفتيـــانُ أني صـــالِيه
إذا الحديدُ رُفِعتْ عوالِيه[3]

ولو بحثنا في المعنى الاصطلاحي للخلع فإننا نجد المعنى قريباً من معناه اللغوي، فالخلع يرادف النفي والتغريب[4]، عن أرض القبيلة وأهلها وكلها عقوبات في حق مَنْ يستهين بعرف القبيلة وقوانينها، أو يقوم بأعمال منكرة ولا يدع مجالاً لنفسه لإصلاحها[5].

(1) لسان العرب، ابن منظور: ٨/ ٧٧
(2) تاج العروس، الزبيدي: ٢/ ٣٣١
(3) الاغاني: ١٣/ ٨ (التقدم) وفي عشرة شعراء مقلّون، د. حاتم صالح الضامن: ٤٤
(4) لسان العرب، ابن منظور: ٧/ ٦٣٩
(5) ينظر المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، د. جواد علي: ٤/ ٥٩١

ISSN: 2789- 1771
العدد (صفر). نيسان ٢٠٢١/ رمضان ١٤٤٢

الخلع وأثره النفسي على الخليع:

تكمن قيمة الفرد بانتمائه لقبيلته وعيشه بين أهله، ولكن في مواقف معينة منها (ارتكابه جرائر) ترفض عندها القبيلة ذلك الفرد ولا ترغب في بقائه معها. عندئذ تضعف الصلة بينهما وتنقطع فينعكس على نفسيته ويُصاب بخيبة أمل ويأس يحيطه من كل جانب (فالإنسان ينهدم من الداخل إذا لم تقبله الجماعة)[1]. وذلك يقود بعض أولئك الأفراد إلى الانضواء تحت لواء الصعاليك وتماديهم في أفعالهم السيئة. مثلما نفت هُذَيل حبيب الأَعلم (أحد أفرادها) وأبعدته عن دياره وأهله بما جنى على نفسه فأصبح يجوب صحراء نجد وجبال هُذَيل متنقلاً فيها دون أهل وَولد وعشيرة تحميه وتُشعره بالأمان مما أشعره بغربته التي زادته شوقاً وحنيناً لهم فأخذ يذكَرهم ويذكر حاله بقوله:

رَفعتُ عيني بالحجا ... زِ إلى انـاسٍ بالمناقبِ
وذكرتُ أهلي بالعَرا ... ءِ وحاجةِ الشعثِ التوالب
المِصرمين من التلا ... دِ اللاحقين إلى الأقارب[2]

من هنا تولدت حالة من الاغتراب الاجتماعي بين الخلعاء وقبائلهم قامت أساساً على مفهومي الرفض والاستبدال، فيجد الخليع بديلاً عن أهله لِما غرسهُ في أعماقه ذلك القرار الذي يعده ظلماً بحقه من حزن وتخلٍ، قال الشنفرى واصفا ذلك ومخاطبا أهله بقوله (بنو أمي):

أقيمُوا بَني أُمي صُدُورَ مَطيّكُمْ ... فَإنّي إلى قَومٍ سواكُمْ لأَمْيَلُ
فَقَدْ حُمَّتِ الحاجاتُ والليلُ مُقمِرٌ ... وشُدّتْ لِطيّاتٍ مَطايَا وأرْحُلُ[3]

(1) مقالات في الشعر الجاهلي، د. يوسف اليوسف: ٣٢

(2) ديوان الهذليين، محمد محمود الشنقيطي: ٢/ ٨٢

(3) شرح شعر الشنفرى، تحقيق وتعليق، د. خالد عبد الرؤوف: ٦٤، وفي لامية العرب للشنفرى، عبد العزيز ابراهيم: ٦٧

ISSN: 2789- 1771
العدد (صفر). نيسان ٢٠٢١/ رمضان ١٤٤٢

لكننا لا نلبث أنْ نجده يُعلن عن مغادرته أرض القبيلة بإرادته، ليثأر لكرامته المهدورة بوصفه إنساناً يستحق الحياة بكرامة:

وَفي الأرْض مَنْأى لِلْكَرِيمِ عَنِ الأذَى ... وَفيها لَمَنْ خافَ القِلى مُتَعَزّلُ
لَعَمْرُكَ ما بالأرضِ ضِيقٌ على امْرِئٍ ... سَرَى راغِباً او راهِباً وهْوَ يَعْقِلُ[1]

ويواصل استبداله وتخليه هو عن قومه بآخرين لا يتخلون عنه، ولا يخذلونه فلا يُذيعون له سرا وأقصد البادية وحيواناتها الشرسة التي لا يشعر معهم بالاغتراب إذ أصبحوا أهله قال:

وَلِي دُونَكُمْ أهْلُونَ: سِيدٌ عَمَلَسٌ ... وَأرْقَطُ زُهْلُولٌ، وَعَرْفاءُ جَيْأَلُ
هُمُ الرَّهْطُ، لا مُسْتَودَعُ السّرِّ شائِعٌ ... لَدَيهِمْ، ولا الجانِي بِما جَرَّ يَخْذَلُ
وكُلُّ أبِيٌّ باسِلٌ، غَيْرَ أنّني ... إذا أُعرِضَتْ دُونَ الطّرائِدِ أبْسَلُ[2]

فقد أستعاض بتلك الحيوانات عن أهله من البشر ووجد بينها وفيها الأمن والطمأنينة، فأعلنها صراحة بقوله:

وَلِي صاحِبٌ مِنْ دُونِهِمْ لا يَخُونُنِي ... إذا التَبَستْ كَفيَّ بِهِ يَتآكَّلُ
وإني كَفانِيْ فَقْدَ مَنْ لَيسَ جازياً ... بحُسنى، ولا في قُربِهِ مُتَعَلَّلُ
ثلاثَةُ أصحابٍ: فُؤادٌ مُشيَّعٌ ... وأبيضُ إصْليتٌ، وصفراءُ عَيْطَلُ[3]

فيواصل تعبيره عن خيبته التي ألّمت به مدافعاً عن نفسه أمام هذا الواقع الاجتماعي المؤلم، كذلك عبّر الخلعاء عن خيباتهم، وقد يزداد إحساس الفرد باليأس وضوحاً كلما طالت غربته عن أهله وجماعته خوفاً من هاجس الموت خارج الأرض فيتمنى (أَفْنون

(1) شرح شعر الشنفرى: ٦٤
(2) المصدر نفسه: ٦٤–٦٥
(3) المصدر نفسه: ٦٧

ISSN: 2789- 1771
العدد (صفر). نيسان ٢٠٢١ / رمضان ١٤٤٢

التَغلُبي) أنْ يَكون بين أهلهِ وعلى أرضه متحدثاً عن موقف جماعته بعد أن خلعوه وأحدثوا شَرخاً في نفسه، فبعث لهم أبياتاً عبّرت عن أحاسيسه قال:

أَبْلِغْ حُبَيْباً وَخَلّلْ فِي سَراتِهِمُ ... أنَّ الفُؤادَ إنْطَوَى مِنهُمْ عَلَى حَزَنِ
قَدْ كُنْتُ أسْبِقُ مَنْ جَارَوا عَلَى مَهَلٍ ... مِن وُلْدِ آدم مْا لَمْ يَخْلَعُوا رَسَنِي
فَالُوا عَلَيَّ ولَمْ أمْلِك فَيالَتَهُم ... حتَّى انْتَحيْتُ على الأرسَاغِ والثُّنَنِ
لو أنَّني كنْتُ مِن عادٍ ومِن إرمٍ ... رُبّيَتُ فِيهِمْ ولُقمانٍ ومِنْ جَدَنِ
لَمَا فَدَوا بأخِيهِمْ مِن مُهَوّلَةٍ ... أخا السَّكونِ ولا جَارُوا على السُّننِ[1]

وقد يبقى الخليعُ يعتزُ بقبيلته وأهله لِما يُدركه إنَّ عِزَّهُ مرهونٌ بارتباطه بقومه على الرغم من خلعهم له، فلم تمنعه الظروف القاسية ومواجعهُ النفسية من استذكار عِزَّه حينما كان بينهم، وكانوا يشعرونه بالعزّةِ والكرامة فيعلن بقاء انتمائه إليهم والتغني بحماهم ومآثرهم وندمه على ما جناه على نفسه كالذي فعله قيس بن الحدادية:

خُزاعةُ قومي فإن أفتخِر ... بهم يَزْكَ معتَصري والنَّسَبْ
هُمُ الرأسُ والناسُ مِن بعدِهم ... ذُنابى وما الرأسُ مثلُ الذَّنَبْ
يواسي لدى المحل مولاهم ... وتكشفُ عَنهُ هُموم الكربْ
فجارُهم آمنُ دهرَهُ ... بِهِمْ أنْ يُضامَ وأنْ يُغتصبْ[2]

فعلى الرغم من تخلي خزاعةَ عنهُ وخلعه لكنَّه ظل معتزاً بذلك النسب، فهم عنده كالرأس وبقية الناس أذناب، هم في المقدمة والآخرون دونهم. ثم يقول أنهم يكشفون الهموم عن مواليهم وأبنائهم ومَنْ يستجير بهم لا يُهضم له حق.

(1) المفضليات: ٢٦٢

(2) الاغاني: ٣/ ٤، وفي عشرة شعراء مقلّون: ٣٢

ISSN: 2789- 1771
العدد (صفر). نيسان ٢٠٢١/ رمضان ١٤٤٢

«المبحث الثاني»

السُبل التي واجه الخليع بها خلعه

الجوار والحلف:

يعاني الخليع نتيجة تخلي قبيلته عنه أو تخليه عنها بفعل ظروف موضوعية مفروضة أو مرفوضة[1]. ما يجعله مفتقراً لأدنى درجات التوافق الاجتماعي مع مؤسسته (قبيلته) التي فيها نسبه، لذلك يبحث عن أجواء اجتماعية بديلة، والتي قد تحقق له توافقاً نفسياً واجتماعياً مع ذاته اولاً ثم مع مجتمعه الجديد فتضمن له حقوقه ويخضع كل ذلك لِما يسمى بقانوني الإجارة[2] والحلف الذي كانت تعمل به القبائل أو إشرافها، وقد يتحول النسب عندئذ إلى القبيلة المجيرة او الحليفة. قال ابن خلدون: (اعلم أنَّه مِن البيّن أن بعضاً من أهل الأنساب يسقط إلى أهل نسب آخر بقرابة اليهم، أو حلف أو ولاء لفرار من قومه بجناية أصابها فيدعى بنسب هؤلاء)[3].

ومن أولئك (حاجِزْ بن سلامان الأزدي) الذي خلعته قبيلة الأزد لفتكه وتصعلكه وعانى نتيجة ذلك من صراعات نفسية وغربة مكانية هدمته من الداخل فلجأ إلى بني مخزوم وتحالف معهم وقد وجد فيهم الأهل والقوة والحماية المفقودة فقام يمدحهم بقوله:

قومي سلامان إما كنت سائلة ... وفي قُريش كريم الحِلفِ والنسبْ
إنّي متى أدعُ مخزوماً ترى عنقاً ... لا يرعشون لضرب القوم من كثبْ[4]

(1) ينظر خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب على شواهد الكافية، عبد القادر محمد هارون: ١ / ٥٠

(2) ينظر الشعراء الصعاليك، د. يوسف خليف: ٥٩، وينظر شعر الصعاليك منهجه وخصائصه، عبد الحليم حفني: ٤٨–٤٩

(3) تاريخ ابن خلدون (المقدمة): ١١٠، وينظر تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي) د. شوقي ضيف: ٦٧

(4) الأبيات في الأغاني (التقدم): ٢ / ٤٩

ISSN: 2789- 1771
العدد (صفر). نيسان ٢٠٢١ / رمضان ١٤٤٢

إذ عبّر عن امتنانه ممن أجاروه، وفيهم أصبح حلفه ونسبه لكنه ظل يذكر ما حل به من قومه من تخلٍ وألم فقارن بينهما: وفضّل (سلامان) على الأزد، كذلك فعل (قيس بن الحدادية الخزاعي) حينما خلعته خزاعة، فلجأ إلى قوم يُقال لهم بنو عمرو بن خالد الذين حموه وأحسنوا اليه فآووه[1] قال يمدحهم بشكره إياهم بعد أن عجزَ قومه عن مساعدته عندما تجنى عليه آخرون قال:

جزى اللهُ خَيراً عن خليعٍ مطرَّدِ ... رجالاً حموه آل عمرو بن خِالد
عليكم بعرصاتِ الديارِ فإنَّني ... سِواكم عديدٌ حين تُبلى مشاهدي
ألا وذُمُّ حتى أذا ما أمنتُمُ ... تعاورتُم سجعاً كسجع الهداهدِ
تَجَنّى عليَّ المازنانِ كلاهما ... فلا أنا بالمبغضي ولا بالمساعدِ
وَقَدْ حدبتْ عمرٌ عليَّ بِعزّها ... وأبنائِها من كل أروعٍ ماجدِ
مصاليتُ يومَ الرَّوع كسبهم العلا ... عِظام مقيلُ إلهام شعر السواعدِ
أولئك إخواني وجُلُّ عشيرتي ... وثروتهم والنصر غير المحاردِ[2]

وعلى الرغم من حماية آل عمرو بن خالد له ظلت نيران الحقد مستعرة في قلبه على قومه حتى بدت صورة الانتقام واضحة لديه فاستاق إبلهم وقتل منهم حتى قُتِل. ومن الخلعاء مَن استجار بأفراد من الاشراف ونزل في حمايته ومنهم (البَراض بن قيس الكناني) خلعته قبيلته لسكره وفتكه فنزل عند بني الدِيل فحالفهم لكنه لم يرعَ حق الجوار فشرب فيهم حتى خلعوه أيضاً فأتى مكة وأتى قريشاً فنزل على حرب بن أمية فجاوره وحالفه وأحسن جواره ثم شرب بمكة وأساء على عادته حتى همَّ حرب بن أمية بخلعه[3]. وفي حديث (أبي الطَمَحان القَيني) أنه كان خليعاً فاتكاً فاسقاً لا يعرف خلقاً ولا أدباً نزل بمكة بجوار الزبير بن عبد المطلب وكان ينزل عليه الخلعاء[4]. فأحسن جواره، وذكر ابن قتيبة أن أبا الطَمَحان كان خليعاً متهتكاً نزل على (مالك بن حمار

(1) ينظر المفصل في تاريخ الأدب العربي، أحمد الأسكندري وآخرون: ١/ ١٢١، وينظر أدب العرب مختصر في تاريخ نشأته، تطوره، وسير رجاله وخطوط أولى من خبرهم، مارون عبود: ١٣
(2) عشرة شعراء مقلّون: ٣٤–٣٥
(3) ينظر الأغاني: ١٩/ ٧٥
(4) الشعر والشعراء، ابن قتيبة، ١ / ٣٤٠

ISSN: 2789- 1771
العدد (صفر). نيسان ٢٠٢١/ رمضان ١٤٤٢

الشمخي) بعد أن غادر الزبير بن عبد المطلب فأحسن جواره وظل عنده فَمدحه وقومه بقوله:

سأمدَحُ مالِكا في كلّ رَكبٍ ... لقيتُهُم وأتركُ كُلَّ رَذْلِ
وَقد عَرفَتْ كلابُهم ثيابي ... كأنّني منهمُ ونسيتُ أهلي
نمتْ بك من بني شمخٍ زنادٌ ... لها ما شئتَ مِن فرعٍ وأصِلِ[1]

عبّر عن انتمائه إليهم وأنه صار واحداً منهم وأن كلابهم أصبحت تعرفه فلا تتوجس منه، وفيهم نسيَ أهله فهو منهم.

وعرف عن (مطرود بن كعب الخزاعي)[2]، أنه نزل في جوار عبد المطلب بن هاشم ابن عبد مناف، فحمله وأكرم جواره وكان قد لجأ اليه لجناية كانت منه فقال يرثي عبد مناف وأبنه المغيرة لِما قدموه له من حماية ورعاية:

إنَّ المغيرات وأبناءهم ... هم خيرُ أحياءٍ وأمواتِ
هُم سادةُ الناسِ إذا حصلوا ... ونسلِ ساداتٍ لساداتِ
يا أيّها الرجلُ المحوّل رحله ... هلا حللتَ بآلِ عبد منافِ
هبلتك أمك لو حللتَ بهم ... ضَمِنوكَ من جوعٍ ومِن إقرافِ
وإذا معد حصلت أنسابها ... فَهُم لَعمري من مها الاصدافِ[3]

فلولا تلك القبائل وأشرافها المجيرون المحالفون للخلعاء، ولِما قدموه لهم من استقرار نفسي، لظلوا مشرّدين يجوبون الصَحارى ويأنسون بها وبحيواناتها ويلتحقون بالصعاليك، لكننا نجد صورة أخرى في المجتمعات الجاهلية تلك التي كان الخليع فيها حليفا أو جاراً، وعندها يلقى من الإهانة والذل والسخرية بينهم، ما يشعره بضعةِ

(1) الأبيات في الحيوان، الجاحظ: ١/ ٣٨٠

(2) مطرود بن كعب الخزاعي: شاعر جاهلي فحل لجأ إلى عبد المطلب. والخبر في المتن. ترجمة الشاعر عن كتاب الأعلام، الزركلي: ٧/ ٢٥١

(3) معجم الشعراء، المرزباني: ١٨٦–١٨٧

ISSN: 2789- 1771
العدد (صفر). نيسان ٢٠٢١/ رمضان ١٤٤٢

مكانته بين الآخرين فتزداد جراحاته النفسية تمزقاً وتتراكم اغتراباته لتكون ثورة عارمة بوجه الظلم، فتثأر تلك الذات المتألمة لكرامتها المهدورة. وقد جسد (البَراضُ بن قيس) تلك المشاعر المهانة حين كان جالساً في مجلس النعمان ابن المنذر، عندما طلب النعمان أحداً يجيز له لطيمته على أهل نجد فقال البَراض وكان خليعاً: أنا أجيزها لك وكان (عروة الرّحال الكلابي) حاضراً المجلس فسخر من قول البَراض وحمايته اللطيمة قائلاً: أكلبٌ خليع يجيزها؟ فحمل البَراض على عروة ورصد له فقتله ثأراً لكرامته[1]. وانشد يقول:

نَقِمتُ على المرء الكلابيِّ فخرهُ وكنتُ قديماً لا أقرُّ فخاراً
عَلوتُ بحدِ السيفِ مَفرِقَ رأسه فأسمع أهل الوادينِ خِواراً[2]

فقد إعتاد البَراض وأمثاله من الخلعاء ارتكاب الجرائم ولم يهذبهم خلع أو حلف أو جوار. إذ قتل الكلابي بدم بارد ولم يبال بما فعله فلا قبيلة تؤخذ بجريرته ولا أهل يطالَبون بديته.

الغدر بالخليع المستجير والتهاون عن نصرته:

بلغت حماية الخليع المستجير عند العرب حداً لا يمكن معه الوصف إذْ عُدَّت من عاداتهم الأصيلة التي لم يبرحوا متهالكين عليها، فكانت دماءٌ تُراق لأجله بل قد تقوم حروب على أشدّها.

وقد اختار الباحث ما يعتقده أنّه أغرب حالات الخلع والتي مرَّ بها رجل من بني عبد الله بن غطفان وكان مولعاً بالقمار وقد قَمُر مرتين وردّوا عليه ماله ثم قَمُر الثالثة فلم يردوا عليه، وكان قد قمُر ورهن امرأته وابنته رجاء أن يحوزهما أو يردوهما عليه، فكان الفوز عليه وهنا كان وَقعُ الغربة عليه شديداً، إذ أصبح الخلع مزدوجاً مرة من أهله وأخرى ممن لجأ إليهم وجاورَهم. وعبّر (زهير بن أبي سُلمى) عن مرارة ذلك الخليع حينما خاطب بنو عُلَيم الذين لم يرعوا حق ما كان معقوداً بينهم وبين الرجل

(1) ينظر الخبر في المحبر، ابن حبيب: ١٩٦، وينظر شعر الصعاليك منهجه وخصائصه: ١٦
(2) الأبيات في الأغاني: ١٩ / ٧٥

ISSN: 2789- 1771
العدد (صفر). نيسان ٢٠٢١/ رمضان ١٤٤٢

مذكراً إياهم برغبته وحقه في جوارهم وبغربتهم عن الحق مطالباً إياهم بإرجاعهم حقه قال :

جِـــوَارٌ شـــاهدٌ عَـــدْلٌ علـــيكم وسِـــيّانِ الكَفالـــةُ والـــتَّلاءُ
بـــأي الجِيرَتَـــين، أجَرتُمُـــوهُ فلـــم يَـــصلُحْ، لكـــم، إلاَّ الأداءُ[1]

يقول إنَّ الرجل كان جاراً لكم، وجواره بيِّنٌ مشهور، فهو شاهد عليكم إنَّكم أصحابه، وتابع

قوله :

وجـــارٍ، ســـارَ، مُعتَمـــداً إلـــيكم أجاءَتـــه المخافَـــةُ، والرَّجـــاءُ
ضَـــمِنتُمْ مالَـــهُ، وغَـــدا جَميعـــاً علـــيكم نقـــصُهُ، ولَـــهُ الـــنَّماءُ
ولـــولا أَنْ يَنـــالَ أبـــا طريـــفٍ إِســـارٌ، مِـــن مَليـــكِ، أو لِحـــاءُ
لقـــدْ زارتْ بُيُـــوتَ بنـــي عُلـــيَم، مِـــن الكلـــماتِ، آنيـــةٌ، مِـــلاءُ
فتُجمَـــعُ أيمُـــنُ، مِنّـــا، ومـــنكُمُ بمُقْـــسَمَة، تَمُـــورُ بهـــا الـــدّماءُ
ســـتأتي آلَ حِـــصنٍ، حيـــثُ كـــانُوا مِـــنَ المـــثُلاتِ، باقيـــةٌ، ثِنـــاءُ
فَلـــمْ أرَ مَعـــشراً، أسروا هَـــدِيّاً ولم أرَ جـــارَ بيـــتٍ، يُـــستباءُ[2]

إنَّ زُهيراً أمعن في هجائهم لاستباحتهم حرمة جارهم، وتعدّيهم على امرأته وابنته، وهجاؤه ناتج عمّا اعتلج في صدره من ضغائن عليهم. فالهجاء عُدّ سلاحاً من أسلحة القتال يستخدمه الشعراء لينفسوا به عَمّا يختلج في صدورهم من حقد وضغائن[3].

كذلك بث بعض الخلعاء شكواهم وتذمرهم مما لاقوه من غدر واستغلال حقوق، وقد ذكر عن (أبي الطَمَحان القيني) أنه استجار ب (عبد الله بن جدعان التيمي) ومعه

(1) شعر زهير بن أبي سُلمى: ١٣٩–١٤٠
(2) المصدر السابق: ١٤٠–١٤١
(3) ينظر الشعر الجاهلي، خصائصه وفنونه، د. يحيى الجبوري: ٢٥٣

ISSN: 2789- 1771
العدد (صفر). نيسان ٢٠٢١ / رمضان ١٤٤٢

مال له من الأبل، فعدا عليه قوم من بني سَهْم فنحروا ثلاثة من إبله وبلغه ذلك فأتاهم بمثلها فقال أنتم لها ولأكثر منها أهل، فأخذوها وأضمروها له ثم أمسكوا عنه زمانا ثم جلسوا على شراب لهم فلما انتشوا عدوا على إبله فاستاقوها كلها، فأتى عبد الله بن جُدعان يستصرخه فلم يكن فيه قوة ببني سَهْم فأمسكَ عنهم ولم ينصره مما أثّر في أبي الطَمَحان فقال هاجياً:

ألا حَنَّتِ المْرقالُ واشتاقَ ربُّها	تذكَّرْ إرماما وأذكرُ معشري
وباتتْ وباتَ ألهمُ تحتَ جِرانِها	ضموراً بأن الوحوشَ لو لم تُجزَّرِ
لو علمتْ صرفَ البيوعِ لسرَّها	بمكةَ أن تبتاعَ حمضاً بأذخِرِ
لسَرَّك لو كُنُّا بجنبي عُنيزةٍ	وحمضٍ وضمرانِ الجنابِ وصَعقرِ
إذا شاءَ راعيها استقى من وقعةٍ	كعين الغُرابِ صفوها لم يُكَدَّرِ
وإني لأرجو ملحَها في بطونِكُمُ	بَسطتْ من جلدِ أشعثَ أغبَرِ
فإما اجتَوتَ أرضاً فإني اجتَويتُها	وإني على التبّ[*] لو لم أغيّرِ
جزاءَ سِنمّارِ جزوها وربّها	وباللاتِ والعُزّى جزاءَ المُكفَّرِ
أجدُّ بني الشرقيَّ أدبرَ أنَّهمْ	متى يعلقوا جاراً من الناسِ يغدِرِ
إذا قلتُ أوفٍ أدركَتْهُ دروكهُ	فيا مؤذي الجيرانِ بالبغي أقصِرِ[1]

نتلمس من ذلك إنَّ بعض الخلعاء المستجيرين بالقبائل وبعض أفرادها من ذوي الشرف في أهليهم وأقوامهم عانوا من خذلان وعدم نصرة، أو سوء معاملة مما زاد من غربتهم وأثّر في نفوسهم، وأدّى إلى شعورهم بالاغتراب. هكذا عاش الخلعاء حياتهم بعد تخلي أهليهم عنهم.

(1) الأبيات والخبر في الأغاني: ١٦ / ٦٧

ISSN: 2789- 1771
العدد (صفر). نيسان ٢٠٢١ / رمضان ١٤٤٢

المصادر والمراجع

١- أدب العرب مختصر تأريخ نشأته وتطوره، وسير مشاهير رجاله وخطوط أُولى من سيرهم، مارون عبود، الثقافة العامة – بيروت، ١٩٦٠ (د.ط).

٢- أيام العرب وآثرها في الشعر الجاهلي، منذر الجبوري، دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد، ١٩٨٦ ط٢.

٣- الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان، ١٩٧٩، ط١.

٤- الأغاني، أبو فرج الأصبهاني (ت ٣٥٦ هـ)، تصحيح الأستاذ الشيخ أحمد الشنقيطي، قوبل على نسخة قديمة بالكتابخانة الخديوية، مطبعة التقدم، د.ت.

٥- تاج العروس من جواهر القاموس للأمام النحوي، مُحبّ الدين أبي الفيض السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي (ت ١٢٠٥ هـ)، (د.ط).

٦- تأريخ ابن خلدون (مقدمة ابن خلدون) المسمى بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر. (د.ت) (د.ط).

٧- تأريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي)، د.شوقي ضيف، دار المعارف، ط٢٦.

٨- الجاهلية / مقدمة في الحياة العربية لدراسة الأدب الجاهلي، يحيى الجبوري، دار المعارف – بغداد، ١٩٦٨، ط٢.

٩- الحيوان لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، شرح وتحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الجيل ـ بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر ١٩٨٨.

١٠- خزانة الأدب ولُب لباب لسان العرب على شواهد الكافية، عبد القادر محمد هارون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ١٩٤٠، ط١.

١١- دراسات نقدية في الأدب العربي، د. محمود عبد الله الجادر، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، ١٩٩٠.

١٢- ديوان الأعشى الكبير، شرح وتحقيق، د. محمد محمد حسين، الناشر مكتبة الآداب، د.ت، د.ط.

١٣- ديوان الهذليين ترتيب وتعليق محمد محمود الشنقيطي، الناشر الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٦٥.

ISSN: 2789- 1771
العدد (صفر). نيسان ٢٠٢١ / رمضان ١٤٤٢

١٤- شرح شعر الشنفرى، محاسن بن إسماعيل الحلبي، تحقيق وتعليق، د. خالد عبد الرؤوف، دار الينابيع للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٤.
١٥- شعر زهير بن أبي سلمى، صنعة الأعلم الشنتمري، د.فخر الدين قباوة، منشورات دار الأفاق الجديدة، بيروت ط١ ١٩٧١.
١٦- شعر الصعاليك منهجه وخصائصه، د. عبد الحليم حفني، الهيئة المصرية العامة للكتب، ١٩٧٨.
١٧- الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه، د. يحيى الجبوري، دار التربية للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد، ١٩٧٢.
١٨- الشعر العربي قبل الاسلام بين الانتماء القبلي والحس القومي، د.مصعب الراوي، دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٩.
١٩- الشعراء الصعاليك، في العصر الجاهلي، د.يوسف خليف، دار المعارف – مصر.
٢٠- الشعر والشعراء، أبي محمد عبد الله بن مسلم (ابن قتيبة)، طبع في مدينة ليدن المحروسة، دار صادر – بيروت، مطبعة بريل، ١٩٠٢.
٢١- عشرة شعراء مقلّون، صنعة د.حاتم صالح الضامن، دار ومطابع الحكمة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٠.
٢٢- لامية العرب للشنفرى، تأليف عبد العزيز إبراهيم، الموسوعة الصغيرة، ١٩٨٨، ط١.
٢٣- لسان العرب للأمام العلاّمة أبي الفضل جمال الدين بن مكرم بن منظور (ت ٧١١ هـ)، دار صادر – بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٥٦ – ١٩٥٩.
٢٤- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، د.جواد علي، مطبعة المجمع العلمي العراقي، الطبعة الأولى، ١٩٥٨م.

ISSN: 2789- 1771
العدد (صفر). نيسان ٢٠٢١/ رمضان ١٤٤٢